

لَيْلَةٌ بِلَا عَمَلٍ

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة وأنا في طريقى إلى البيت ، وكنت مرهقا مكثورا ، ضيق الصدر بمتاعب اليوم ، ولم أجد هناك ما يدفعنى إلى التعجيل بالعودة إلى الدار ، وداخلى احساس بالحاجة إلى الانطلاق بالعربة في الطرق الخالية بأطراف هليوبوليس .

ولم أعرج على البيت وتركت العربة تنطلق بي في شارع المساق ، وأحسست من فراغ الطريق وسكونه وهبة الهواء الرطب التى لفحت وجهى بشىء من الانتعاش ، فتمهلت وأخذت أذنن بصوت خافت .

ولم يبدو على طول الطريق أثر لعابر ، وقامت اللور على يمينى ساكنة مظلمة إلا من بضعة أضواء تنائرت من نوافذها ، وعلى اليسار امتد سور السياج المنخفض وقد ترأسى وراءه الفراغ الفسيح يلقه وشاح من الوحشة والظلمة والصمت المطلق .

وعلى أضواء الطريق الباهتة .. ووسط سكونه المخيم بدا لي شبح امرأة تستحث الخطا . وترامى الى أدنى وقع خطواتها جادة متعجلة .. كأنها خطوات جندي في طوافه .

وبغريزة الرجل .. ازدادت تمهلا .. وأخذت أرغب شبحها . المقبل .. الذي لا أكاد أميز منه سوى حدوده الخارجية وطريقة سيره .

وأنا أميز المرأة بطريقة سيرها وهيكلها .. وأكاد أحس بمدى جمالها أو قبحها من هذين المنظرين . ولا أظنهما خدعاني الا في القليل النادر .. ونقد أحسست من خطوات المرأة المقبلة وتخطيط شكلها في الضوء الباهت .. أنها شيء لطيف يستحق الرؤية .. أو أكثر من الرؤية ان أمكن .

والزاد تمهلي وهي تردد اقترابا .. وأيقظت الوحدة والظلمة ونسبات المرأة المقبلة مشاعري وأرهفت حواسي ، فأنحرفت بالعربة الى الجانب الأقرب اليها - وهو جانب السباق - حتى أتمكن من رؤية وجهها .

وعندما دنت من العربة .. أحسست أن ضوء الطريق الخافت لن يفيء لي قحصها جيدا .. وأضاعت ضوء العربة الكبير .. فسطع عليها فجأة وبدا عليها الضيق والأنزعاج وبدأت لي في خطواتها المحللي وسيرها المدفع كطائرة أمسك بها ضوء كشاف وهي تحاول الفرار منه .

وخرجت عن نطاق الضوء .. واستمرت في سيرها المعجل .. وخطواتها الجادة ، غير ملفتة حولها .. أو ملقية الى أدنى اهتمام .

ولم أحاول التوقف .. فقد كانت الفترة التي وضعت خلالها في نطاق الضوء . كافية لكشفها .. وكافية بالتالي لأن أواصل السير بعد أن أحسست أنه ليس بها ما يجذبني إليها .. أو يعرّيني بها .. أو يهييء لي فيها أي نوع من أنواع المغامرة . وبعد أن أيقنت أن المشية والهيئة قد خدعاني - إلى حد ما - هذه المرة .

كان وجهها نحيلًا .. شاحبًا .. وقد بدت حول عينيها من تجاعيد الإرهاق والذهول .. ما دفع في نفسي الظن بأن عقدها الرابع يوشك أن ينفلت .

ودفعني الكسل وهزال الصيد إلى معاودة الانطلاق بعربي مفضلًا الليل ونسماته الرطبة والاستمتاع بالسرхан والدندنة .

وواصلت السير في الطريق مخلفًا ميدان السباق ، والعصارات الحديدية المشرفة على ساحته ، عابرا خط المترو الجديد حتى بلغت نهايته وأدريت العربة حول المحطة الأخيرة عائدا في طريقي من حيث أتيت .

ومرة أخرى .. بدا لي الشبح في خطواته العجلى ومشيته الجادة الصارمة .. وسط الفراغ العريض والسكون الشامل .

وأدهشني استمرار المرأة في السير بلا هدف واضح . فقد كنت أتوقع أن تكون قد انحفت في إحدى الدور التي لاشك تفصد إليها .

ولم تكن في سيرها مستعرضة ، ولا كان الطريق الخالي بميدان صيد .. حتى أظنها امرأة ليل تبغي صيدا .. ولا كان الوقت الذي تسير فيه أو المظهر الذي تسير به يدفعان إلى الظن بأنها تمارس نوعا من الرياضة .

وعادت غريزة الرجل وحس الاستطلاع والرغبة في المغامرة توظف
حسّي وترهف أعصابي .. وكنت قد أشرفت عليها .. وأوشكت أن
أجاوزها .. دون أن أستقر على أمر أو اتجاه ..

وبلا خطة موضوعية .. أو تفكير مرتب .. أو هدف واضح ..
أوقفت العربية .. وفتح الباب .. وفي لهجة جادة منتصبة قلت لها :

- تفضلتي ..

ولم أشك في أنني قد فاجأت المرأة بدعوتي .. بل بمجرد
وجودي .. وقمت تنظر إلى على ضوء العربية الداخلي الذي أضاءه فتح
الباب .. وقد بدت مشدوهة مأخوذة .. ومرت لحظة صمت .. حاولت
عملائها أن أضغ عخطتي للحظات القادمة وردودي للاحتتمالات
المحتملة .. ووسائلى لمقاومة التمتع المحتمل ..

ولكن المرأة فاجأتني مفاجأة أشد ، وبلا كلمة تمنع .. أو سؤال
استفسار .. وفي ثانية واحدة .. كانت تستقر على المقعد بجوارى دون
أن يخلج في وجهها عصب أو تفتح شفة .

وسمعت صفقة الباب .. وساد السكون .. وعم الصمت إلا من
صوت أنفاسها تتلاحق لاهثة كأنها جواد في سباق ..

وسرت بالعربة .. ومضت برهة .. كان كلانا يشرذ يصره من
رجاج النافذة إلى الظلمات المترامية .. وكان على أن أفيق من المفاجأة
وأن أقول شيئا .. ألم أكن الصائد صاحب الدعوة ؟

وكانت أقرب الألفاظ إلى شئني .. كلمات الشحية .. فقلتها ..
أكسب بها الوقت .. وأتمالك أعصابي .. وأستعيد طبيعتي المغارلة
المرحة ، قلت :

وأخيرا قالت :

- مساء الخير .

ولم تكن كلمات الغزل قد لانت على شفهي بعد . إذ لم أجد بها ما يدفعني الى الغزل المخلص الطبيعي .. ووجدت رغبتي في الاستطلاع تسبق قدرتي على الغزل المجامل المتكلف فقلت متائلا :

- الى أين ؟

وبساطة أجابت .

- أحضر العشاء .

(عشاء !!) وكادت تنفث مني صيحة دهشة .. أسرع في كبها .. ولم يكن في مظهرها المحترم ولا في الساعة التي تسير فيها ، ما يبرر خروج سيدة مثلها لإحضار عشاء ، وسألتها في لهجة غير مصدقة :

- الآن ؟ تحضرين العشاء ؟

- أجل .. لقد عدت فلم أجد في البيت طعاما .

- وأين البيت ؟

- في إحدى العمارات المطلة على السباق .

- ولكن ألم تكوني تعرفين أنه لا يوجد في البيت طعام ؟

- اني أنسى هذه الأشياء .. لأذكر شيئا عن البيت الا عند

عودتي اليه .

مخلوطة عجيبة .. ورد أعجب !

وعدت أنساءل .. دون أن أتنبه الى أن المرأة الغريبة قد حولتني
من صائد ليل مغازل .. الى وكيل ثيابة محقق .

قلت لها :

- ولماذا لم ترسلني أحدا من البيت يحضر لك عشاء ؟

- لأنه لا يوجد معي أحد .

وطرفني ردها طرفة مثيرة .. لقد بات أمرها سهلا ، من حيث
المكان ، فهي تقطن وحيدة .. ويمكنني أن أعود معها الى بيتها .

وكان علي أن أتولى احضار العشاء .. وبحثت في ذهني عن محل
ابتاع منه .. دون أن أسلك طريقا مطروقا يعرضني واياما للأبصار ..
وقبل أن أستقر على رأى سمعتها تقول .

- من فضلك اتجه يسارا .

وكنّا قد بلغنا الشارع الجانبى الذى يلف يسارا حتى ينتهى الى
شارع سان استفانو المليء بالسارة والحوانيت .

وأجبت مترددا :

- لماذا ؟

- لأحضر العشاء .

- سأحضره لك أنا من محل أعرفه .

- لا داعى لأن تنعب نفسك .. يوجد بقال على الناحية لى عنده

حساب .

وحاولت أن أجادل ولكنها أصرت .. فلم أجد بداً من الذهاب إلى حيث تريد .

ووقفت بها أمام البقال وهبطت من العربة لتعود بعد لحظات وقد حملت معها بضع لفائف صغيرة .

ومرة ثانية استقرت بجواري وقلت متسائلاً :

- أتعودين إلى البيت ؟

وترددت لحظة قبل أن تجيب متسائلة :

- ألا تحب أن تلف بالعربة برهة ؟

- أجل .. أجل .. كما تشائين .

وأدبرت العربة مرة أخرى إلى شارع الساق والطلقت أجول بها متبعا الطرق الخالية في أطراف الضاحية .

وبدا عليها الشرود وهي تستقر بجواري في هدوء وصمت ولم تعد أنفاسها تتلاحق لاهثة ، بل بدت عليها السكينة ، والطمأنينة والاستقرار .

وكان علي أن أوالى بقية تحقيقاتي .. لأستفسر منها عما غمض علي .

قلت أستدرجها من شرودها وأقطع عليها صمتها :

- أنتميشين وحدك .

- أجل .

- أأنت متزوجة ؟
- لا .

- ألم تتزوجي ؟

- تزوجت وطلقت .. وتزوجت وطلقت .. وقد أتزوج وأطلق .. وأن الزواج في حياتي من الحوادث العابرة وليس من الأحداث المقيمة .

- أليس لك أهل ؟

- لي .. ولكني أفضل أن أقطن وحدي .. التي أعمل في الفن .. أقوم ببعض الأدوار الثانوية في السينما والمسرح وأحيانا أعود في الليل متأخرة .. وأحيانا سكرى .. ولا أحب أن أقلق راحة أهلي أو أسيء إليهم .. ولذلك أفضل السكن وحدي .

ولم يكن هناك شك بعد هذا .. أن المرأة صيد سهل يسور .. زواج وطلاق .. وفن .. وسكن وحدها ، وسهر ، وسكر .. كل هذا .. ترك المسألة كما يقولون (على بلامة) .

ولكن المشكلة لم تكن مشكلة السهولة واليسر .. بل كانت مشكلة القابلية والإثارة ،

إن المرأة لم تثرني من اللحظة الأولى .. بوجهها الشاحب المرهق ، وهزالها البادي ، ولقد ظننت أن التلاصق والحديث قد يمنحني شيئا من الإثارة ، ولكن شاعري لم يثر بأكثر من الشفقة والمطف .
ومع ذلك .. ويدافع من العاد .. والإصرار على اتعام المغامرة وجددتني أسئلتها :

- ألا نعود الى البيت ؟
- وبلهجة الاسلام والرضوخ أجابت :
- أمرك .
- ووقفت أمام باب البيت ، ووجدتها تجمع اللقائف لحملها
- فقلت :
- عنك .. دعيني أحملها لك .
- لا داعي للشعب .. سأحملها أنا .
- ألدبك ما يمنع من الصعود معك ؟
- وصمت .. ومضت بها برهة وجوم وتفكير وما لبثت أن
- تسلطت :
- أتصر على الصعود ؟
- إذا لم يكن لديك مانع .
- أبدا .. لا مانع لدي .. فقط .. أخشى لغط البواب والسكان
- وأكره أن يقولوا أنني أحضر رجالا في البيت ، فانظر حتى أتأكد أن
- البواب قد نام وأن الطريق خال .. وسألوك لك بضوء ثقاب من وراء
- النافذة الكائنة في أعلى الدار .
- وإذا لم أر الضوء ؟
- يكون من الخير أن تنصرف .
- ودلفت الى البيت وجلست أقرب النافذة الصغيرة التي أشارت
- لي إليها .

أى أحقق أنا ! ماذا يدفعنى الى الزج بنفسى فى مثل هذه
المغامرة ؟ أدخل بيتا لا أعرفه فى منتصف الليل .. مع امرأة لا أكاد
أعرف عنها الا ما حدثتلى به عن نفسها مما قد يكون باطلا مكذوبا ..
وقد تكون ذات زوج .. وقد يكون بيتها كميناً لاصطياد المأفوقين
البدج من أمثالى .. للاعتداء عليهم وسلبهم نفوذهم !

ولماذا أفعل كل هذا ؟ من أجل امرأة لا أريدها .. ولا أشعر لها
بأية قابلية ، ولم تثر فى جارحة .. أو تهيج لى حسا ..

يجب على أن أنصرف .. وكفانى هذا القدر من المغامرة . خير
لى أن أعود الى البيت لألوذ بأطراف الأمن والراحة وأجنب نفسى شر
الكوارث والمضائح .

ومع ذلك لم أتحرك فكثيرا ما ينطلق تفكيرى فى ناحية ويصلد
تصرفى فى ناحية أخرى . فأظل مفيدا فى موضعى لا سلطان لتفكيرى
على تصرفاتى .

وتعلق بصرى بالنافذة العالية التى بدت وراءها رفعة السماء الداكنة
بمجموعها المتناثرة وقطعة ضئيلة من القمر تبدو على صفحتها نصف من
السحب تحجبها تارة وتبرزها أخرى .

وفجأة لاح لى الضوء الباهت يتحرك وراء النافذة ، وأحسست
بأعصابى تتوتر .. وبمشاعرى ترهف ، وتملكنى وهم شاعرى ممتع
مشير .

نافذة فى السماء .. وسحب متحركة ، وقمر شاحب ، ودفقة
مشرقة فى عرض الطريق المظلم الخالى .

ورد عتددها الجعل من حساسي بالشمعة عيني وصمت
عني ألا أحدها وأب تجعل من مرحي نكف مرحاً أصلاً ففت
ضاحكا :

- انها مكان شاعري لصيف .

ورمى وحصة ، ثم أطلق من ثعبا صحنكة فصرة سحرة
وأجابات :

- انت أنت الجمال اللطيف .

وحمت عني وجهها سحابة معنمة كت دوح المرح في نفسي
وأوفت كلبات انتهرج نبي أوشكت عني الابداع من شعني

ومدت يدها الى لدولاب الوحيد الموجود في معرفة فأخرجت
رحلة ربيكي قد املا نصفها ووضعته عني الحصدلة لحشبية لصغيرة
بحوار السائف التي أحصرها من البقر وقالت متصحكة

بعث لاتباع في مقاسمني الرحلة بي في حاجة ايها كنها ،
وكي عني أتم استعداد حاربك عن نصفها

اسي لا أشرب .

- غير معقول !

- ولماذا ؟

مدمر مشك بطارد الحاء في منتصف الليل .. ويتبعهن الى
حدودهن ثم لا يشرب ؟ حد لك كاسا

- حقيقة لا أشرب .

- إذا أصبح لك فناء من الشئ ؟

- لا لزوم له .

- أو فناءنا من الفهوة ؟

- لا داعي للشعب .

- إذا تشاركني عشائي ؟

وسارت الى باب صغير يقصى بي دورة مياه ، وما دلت أن
عدت ومعها بصعة أطباق أحدث نزع منها السكاك جنة وريثول ،
ومرتدلا ، وطرشي .

ودرت مصرى في أحياء لبحرة . فوجدت حبيب عجيب من
البوهيميه والراثه والعوضي .

فرش ما ريت أعطينه مشوشة من يوم السنة السابقة ، ووصائد
بدت عليها ثمر الرأس بقدرتها لدهية جديه وصحة ، وفردة شيشب
مقصوعه ، وأعقاب سجائر ، ورحاخاب وبسكي وبيره وسيد فارعه
ومشجب تراكت عليه محبب أنواع الرياح لسالة روب خريزي ،
وكورسيه ، ومعدن زرق ، وعلى الأرض بجوار لعراش كوم حر من
سلايس وأعقاب سجائر والصحف والمحللات

وبجوار الفرش والمشجب استند الدولاب على الحائط بمرآته
مسروجه وصنعه اسي لاتعق وأحشائه اسطية بحبب عجيب من الشب
والأوري والرحاخاب ، وتوسط الحجرة سجاده راحيه سفوف عليها
بمصدرة الحشوية وأحاصت بها بصعة مفاعد من حبيرون ومفعد كبير
مهدت مهاد ، ووسط هذه العوضي والراثه بد الشئ لو حيد بمعني

به می لبحرة واندی بم أحد بوحوده مرر ولا معی وهو رف لکک
وصحاب عیه عنه کتب مرصوصه بهابه

وسألها مستوصحا :

- یدو لی أنت تقرئين کثیرا ؟

- انقراة هی اشیء لوحد یدی آدمس عیه دوس ن یالسی
منه سوء .

وکک قد تهب من رصر لصحاف ورئینا بعد یدها لی
المشجب مسور قمبص وروب ونحه الی الباب نصعیر لیدی
أحصرت مه الأطباق قائمه .

دقیقة واحدة .. أیدل ملابسی می أحب ن أحسن معک
عسی راحتی .. أذهب عامع ؟

ند اهدی کی ما بحدو ن ، رلاتقیمی بوحودی ورر

معک حق ما دمک قد عذرت بحصارت هف فیس ی
أن أحشی بعد دس شینا یس لیدی أسوا ما نری

وهم یکی هس هی لواقع أسوا ما نری ، فلا أطل امرأة قد
أدحبت فی حمایف فقط ، أن رجلا سیورده فی ححرتی وسمراه
سی نصید رجلا یقدم به حمده لا یسکر أن تعرض عیه کل هذه
بحدیا بصره سی بحرص فی إعادة عسی حداثی

وقد قنت فی من یدیہ لأمر بم أحس امرأة بأی فیسه وشی
کک رجول تشری المصامره یسها ، ولکن ح ححرة یکی مابه

من هو صبي وقدره ورثاة قد قصي عني كل ما يحتمل أن تثيره في نفسي
حيثي بامرأة ، وندما حي في جو العدمرة

وحتمت امرأة لنس ثيابي وبدأت أجد أن مهمي هي كانت
هي مثل هذه مواقف - تنحصر في مسرح المرأة قد نأب تنحصر
في كيفية التحصيل منها دون أن أخرج مشاعرها أو أوسم نفسها

وعادت التي قالت لي مرح :

أما لم تنصر عني ألا بشاركي لرجاحة ؟ سأضطر إذا أن نمر بها
وحتى واد سكرت فأت المسؤول ، تفصل كل عني ما قسم

وهي نكي في قلبية لمصدم وكلي حب أن وأنها برقص
مما ركبتها بآه واقتراب بمقعدي من حادثة وشاعلت بالأكبر

وبدأت الحمر تدفق من لرجاحة بي ككأس ومن الكأس ي
جاءه ورفع أشرب من الكأس ولاسيما بهي كان يسكن
عيني وقد عقدت بساها ، فبددت تدثر في حقه مستحبة ومحجوب
بديعة ، وحدث برأي الودر عن عيني في مسرح والتسبيح والحكي
عن حياتي وراء الكواليس ، ومعمراتها مع المستعجيين والمحرجين

وعلمت أن جد هي حديثها نسبه ومعه حتي بدأت ككأس تنهر
عيني وأحدث بحبه رويد رويد بدءه سرح في شعبي بصعة ككأس
الأوسي ، وبدأت تعمرها موجه من حبيبي المحرجين وكف نسبي عن
الثرثرة يستعيب عنها سادات والأهدب وبدأت عيني هيئة عشق
السكرى .

وهي تحسب أن منكسي قد بدأت تنفقد وأن عني أن أهدأ
مهمي لساها في تنحصر منها دون أن أحدها ، وأحدها

و فرغت نمائده بكأسها ومدت ساقها ونفت برأسها الى الوراء
وأصعب شهدة حارة ، ثم سمعها تهمس في شه أني

- دينا !

و وجدت أن عني أن أفزع سلسلة شهادات ، وأن أحس عني
موجة الحزن لمرهبة اسي تعذب في نفوس السكاري موجة لمرح
وقلت ضاحكا :

- سأروى لك آخر فكة سمعتها .

ورفعت اتي رأسها فوجدت في عينيها عربين وعادات نفوس في
صوت حاتم وكدمات بصرته منقطعه

- بل سأروى بهت أنا أن حائسة عرسها .

ومدت يدها فوضعت عني ضامر يدي وأظف كنها عني ثم
رفعتها بي شعيبها ومست بعصب في راس

وأحسنت بأناسها تلهب أصابعي . ووجدت أن المصانة بصور
سريعا وأن علي ما دمت لا أريد المعامرة - أن أضع حد بها

وسحبت يدي فبعطت يدها عني بمصده . وقفت وأنا أحم
بالوقوف :

يدرويت منه وأظن من الخير أن أنصرف . وأدعيت
لترجيح

و تعصب كتمت بعني عرفت وبساعت وقد همرت هده

- تبصرف ؟ لماذا ؟

- الوقت متأخر .. وأنت متعبة

- أن كنت متعبة .. أسي فقط سعيدة ، وأنا أنكي عيني أكون
سعيدة .. أجلس أرجوك .

وجدت لقد كان علي أن أحتمل .

وعادت المرأة المحمورة ، الباكية من فرط السعادة ، بواحد
مسة سعادتي السعيدة .. وتهمس لي في مورتها لمحوح

- ألم تدقي الحب ؟

- دقت مرارا ،

- مرارا ؟ أنت اد لم تدقي .. لرب لا يد في الأمر واحدة

- أما ان ترديك صريحا . او تمشك حيا

ومادا فعلت بك أنت ؟

أردتي صريحا باطبع . لم تدع في سوى هذا الحصاد الذي
تره .

وحشيت أن تصل في أن أبغها حة فعلت بها مسيحك

أنت ما رب بحير . أنت في أوج صباك

صبي ؟ كم تعطيك من العمر ؟

وأن حير بحير .. أعرف أنه لا يمكن أن يتعدى الثلاثين

ولا بعد مائة عام ، وأنهي يعقد على هذا سن فلا يحاوره أنه

وَأَعْرَفَ سَائِلُ هُنَّ حَبِيبَ رُوحٍ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرَةَ ، وَأُحِبُّ لِسَانَهُ
لَأُولَى فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ .

أَفْتِ يَا بَكِي تَقْطَعُ عَلَيْهَا حَظَّ سَحَابٍ

- ثَلَاثُونَ عَامًا ؟

- انْقُصَ عَامَيْنِ .

- ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ ؟

وَهَزَبَ رَأْسَهَا مُوَافَقَةً . وَهَرَبَتْ رَأْسِي مَسْتَعِدَّةٌ مِثْلَ بَكِي هَذِهِ
وَقَدْ وَلَا دَاعٍ يُلْحِذُ حُرُوفَ عَمْرِاءِ امْرَأَةٍ لَهْدِيَّةٍ سَكَنَ فِي ثَمَانَةِ عَشْرَةَ
وَأَرَادَتْ .. الْمَهْمُ هُوَ أَأَنْ تَتْرَكِي أَهْلِيَّ وَهَمْسِيَّ بِمَهْوَمٍ مَرَّةً أُخْرَى
عِندَ أَحْسَبَ نَكَبَاتِهَا هَوًى كَهْمِيٍّ وَتَسْمَعْنَهَا تَهْمِيٍّ

- كُنْتُ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرَةَ .

وَيَوْفَعُ أَنْ يَفُوتَ (عِندَ تَرْوِجٍ) ثُمَّ تَرُدُّهُ بِأَحْمَدِ الصَّبِيحَةِ
(وَأُحِبُّ بَنِي الْأُولَى فِي بَرْدَةِ عَشْرَةَ) وَبَكِيَّ حَتَّى وَقْتُ

- عِندَمَا أُحِبُّ .

وَكُنْتُ عِنْدَ أَنْ يَتَسَلَّمُ بِسَمَاعٍ لَهَا حَبِيبًا أَلَدَى رُذَاهَا صَرِيحَةً .
وَبَرَكِيَّ حَقًّا . وَتَتَحَدَّثُ فِي صَوْنِهَا الْبَحَاثُ وَتَهْدِيهَا
الصَّغْلَةُ .

وَكُنْتُ وَقَدْ نَزَلْتُ عَنِّي بِبَعْضِ مِمَّا بَرَانِي كُنْتُ مَعِي
مُسْتَعِدَّةٌ حَتَّى وَكُنْتُ فِي حُجُورَةِ بَسْمَتِي كَأَنَّهُ كُنْتُ نَشْتُ بِي
وَعَلَى عَيْنِي مَعْدِي أَوْ كَأَنَّهُ كُنْتُ بِي وَرَدَ أَوْ بَطْنِي . وَنَمَّ بَكِي

سمي كقطعه شيء مرعى بل كنت أمرا مستحب . و كنت طعمه
 بمودحيه اد كى و حهى جملا متورد ، و أنت بدرى قيمه صميمه الجسد
 و خلاوة بوجه من الأضواء . ولكن هذه الصفة المستحبة بدأت تغيب
 أمر حبص ، و لا سيما أن حدث تردد عم بعد عام ، و بدأت أصق
 بسمنى بعد أن بلغت ثلثة عشرة . و دحيت فى شور المرأة
 ورعى صفى بها سم كى أحدها شيء محيما . حتى أحسست بالحب

أحسست بالحب ، و أنت من اثنائة عشرة ؟

- أجل -

- أهذا هو الحب لدى حضرتك ؟ به عبت صبية .

نظر حنى روى بى . كان بقصص عني مفره ما ، و كانت
 بين نوى و منه صدقه خيرة ، و أحبته أن أحبته حب حقيق . و ليس
 عبت صبية كما تقول . و أحب هو أحتى الصبية . الصبية بالصفة من
 صبا . و ربما به يحبها . بل عبت معها . ما سميت أنت عبت
 صبة . و سم يحاول أن يظن انى فقد كان حسدى لسمين . لا يمكن
 أن يجعل منى أكثر من ماله لتفكره و تصحك . و طوبت مشاعرى
 فى صدرى . و كان كل الشحم المر سحة عنده . أصحك من ان تشع
 عاصفه أو حساب . كى بائسة منه بأسا مضاف . و ده ما سمعته من
 أمه . من أنه يكره اسماء . . و يحب انهاء الصبية كانه رثة

و سمع أن سجن به عقد . كى السمه فى نفسى . و لا سيما
 و أنت سمع فى كل و نه من نوى هذه الصفة التمهديه (و وضع و حوت
 على حمد أحت . كى تمأ أحسن مخوف فى العاصم)

وكان وجهي جميلا حقا .. ولكن ماذا يمكن أن يحديني وهو
على هذا الجسد الهائل .. لقد كنت على استعداد لأن أضعه لأنتي ..
أو لأي مخلوق إذا استطاع أن يأخذ معه هذه الكتل الشحمية التي ترسب
على ..

وسمعت من أمه ذات مرة أنه قال إن وجهي جميل .. فبدأت
أحرق في المرأة .. وأحسيت بشيء من الاعتزاز به .. ونفذت إلي
نفسى بارقة أمل لأول مرة ..

إن هناك ما يعجبه في .. وأنا أستطيع أن أفور بحبه .. لو حطمت
هذا السد الكائن بيني وبينه ، أعني : جسدي .

وهنا بدأت معركة هائلة .. بيني وبين جسدي .. أو على وجه
أدق .. الكتل الشحمية المرسوسة عليه .

وصممت على أن أكسب المعركة .. فقد كنت أشعر أنها معركة
في سبيل حياتي .

وسافر هو وقتذاك في بعثة إلى أوروبا ، وأحسيت بشيء من
الغبطة ، وبدأ لي أن سفره كان تديرا من عند الله حتى أحلو بجسدي
في المعركة .. وحتى أفاجئه عند عودته بمخلوقة أخرى .. تكون أهلا
لحبه .

واندفعت في المعركة .. بجئون وقسوة .. وبغير رفق ولا
هواذة ، ولست أريد أن أثقل عليك بالتفاصيل .. المهم هو أنني كسبت
المعركة .. والدليل الواضح هو هذا الهيكل الذي تراه أمامك ..
انصرفت .. ولكن بشئ .. ثمن ضخم .. كاد يكلفني حياتي .

لقد أعياني (الرجيم) الحاد .. والإجهاد المضى .. وبدأت كتل
الشحم تنهار ، وتنهار معها قواي ، وعندما بدأت أجدى نمار المعركة
وأخترت بجسدي الضامر التحيل .. حررت صريعة .. بعد أن أصبت
بتزيف في الرئة .. عرضني للإصابة بالسيل .. وكاد يدمر حياتي .

وصمت المرأة وبدأ عليها الإعياء وانتظرت أن تقول شيئاً عن
نتيجة انتصارها .. عن الهدف الذي من أجله دخلت المعركة .. عن
الربح الذي كانت ترجوه ، والثمن الذي كانت تأمل فيه .

وطال صمتها حتى اضطرت إلى أن أستحثها قائلاً :

- وصاحبنا .. ماذا فعلت معه ؟

ورفعت كتفها وأطلقت من أنفها ضحكها القصيرة المريرة

الساحرة :

- لا شيء .. لا شيء أبداً .. عندما عاد .. كنت أرقد صريعة

الداء .. وكالت جبرتنا قد انتهت منذ فترة طويلة .. ولم يكن لديه أقل

فكرة عني .. كنت بالنسبة له شيئاً مجهولاً ، وعندما شفيت من الداء -

ان كنت قد شفيت - طوتني أعاصير الحياة .. وتزوجت وطلقت ..

وتزوجت وطلقت .. واندفعت الأطم أمواج العيش .. فلم يبق مني أكثر

مما ترى .. لقد ضاع انتصاري في المعركة سدى ، وذهب ربحي فيها

هباء .

ومددت يدها مرة أخرى لتضعها على يدي ، ولكني مسحت يدي

وبهضمت .. كانت الساعة قد بلغت الثانية وكان علي أن أعود إلى

البيت .

ورأيها تتطلع الى في جزع متسائلة :

- الى أين ؟

- أظن الوقت قد حان للعودة .

ونهضت متسائلة الى المنضدة ونظرت الى نظرة راجية :

- ألا تبقى قليلا ؟

- سأتي اليك مرة أخرى .

وكانت قد وصلت الى باب الحجرة وفتحتة مصمما على

الخروج .. ومددت يدي أضافتها مودعا .. وأمسكت يدي لاثريد أن

تتركها ، وهضت في توسل أليم :

- ألا تريدني ؟

وأجست أني أدلت المرأة باضطرارها الى عرض نفسها ..

وخيل التي أن خير ما أفعل هو أن أعوضها بالنقود .. وأن أدفع لها ثمن

ما كان يجب أن أفعله .

ومددت يدي فأخرجت بضع ورقات مالية ، ثم دسستها في

يدها .

وبدا عليها ألم مروع كأن الأوراق جمره لسمتها ، ووجدتها تطبق

عليها بعصية وتلفعها الى ونهمس :

- أهذا هو الذي أفضه بعد طول انتظار ؟

وفجأة .. وكما يرق وميض البرق .. بدت لي في ملامحها
الشاحبة الهزيلة .. صورة قديمة باهتة لوجه سمين متورد ممثلي .. وجه
طوته الأيام ومحاه الزمن .

وتذكرت بيتا في حي السبلة .. والصبية الصغيرة السعيدة التي
لمحتها في دارنا مرة أو مرتين .

أحسست بأني أكاد أتهاوى في موضعي وتظنرت إلى الطير
الحريح وهو يترنج أمامي وقد بدت في عينيه نظرة عتاب أليم ، وانساب
الدمع من مآقيه .

رشدت على يديها في صمت مشدود دون أن أجسر على أن
أقول شيئا .. والتحدث على الدرج كالهارب من شبح ، أو العائد من
جنازة .

وعندما وصلت إلى الطريق رفعت رأسي ، فوجدت شبحها في
النافذة العالية تلوح بيدها في بلاء وقد أحاطت بها الرقعة الداكنة والمغموم
المشائرة وقطعة القمر المحتفية وراء السحب .

وانطلقت بي العربة وأنا أطبق على عجلة القيادة يد ، وباليَد
الأخرى أطبق على الأوراق المعادة .. أو على الثمن المرفوض .
